إسهام بني زهر في المنجز الطبي والأدبي في الأندلس

م.د.سادسة حلاوي حمود
جامعة واسط / كلية التربية

المقدمة

بدأ بنو زهر عصرهم الذي تقاسمه حكام ((الطوائف))[١] و((المرابطون))[٢]، و((الموحدون))[٣]، بكثير من النشاط النظري والعلمي في العلوم، والطب، والأدب، وهكذا خلف بنو زُهر الاندلسيون تراثاً علمياً وثقافياً وفكرياً غنياً، ابتداءً من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد تجسد هذا التراث في مؤلفاتهم العلمية والطبية والأدبية، وكذلك، فيما سعوا إلى جمعه من معلومات وتجارب في الطب، وبخاصة في نطاق الأدوية والاشربة ومفرداتها وتركيباتها وعناصرها وأعراضها وأساليب علاجها، حيث تميز نشاطهم في علوم الطب دون غيره من العلوم والفنون والآداب ما عدا أبا مروان عبد الملك بن الفقيه بن مروان بن زُهر الأيادي الاشبيلي والحفيد أبي بكر محمد بن أبي مروان بن زُهر الذي كان شاعراً واشتهر في نظم الموشحات العربية الأندلسية، التي تعد من ارق الموشحات واعذبها فضلاً عن تميزهما بالطب والعلاج وصناعة الأدوية.

ويمكن القول، أن التأثيرات العلمية والطبية والادبية التي تركها بنو زهر في المجتمع الاندلسي بخاصة والمجتمع الاسلامي عموماً، يمكن تلمسها في ازدهار الحركة العلمية والثقافية التي سادت العصر ابتداءاً من رأس الأسرة أبي مروان عبد الملك بن الفقيه بن مروان بن زهر الايادي الاشبيلي المتوفى ٤٢٢هـ/١٠٣٠م وأبي العلاء زهر

بن أبي مروان بن زهر المتوفى ٤٧٠هـ/١٠٧٧م وأبي مروان عبد الملك بن أبي العلا بن زهر المتوفى ٥٢٥هـ/١١٣٠م وأبي مروان عبد الملك بن زهر بن عبد الملك محمد بن مروان بن زهر المتوفى ٥٥٧هـ/١٦٦١م والحفيد أبي بكر محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن زهر المتوفى ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م وأبي محمد عبد الله بن محمد بن مروان، المتوفى ٦٠٢هـ/١٢٠٥م وكان عبد الملك بن الفقيه بن مروان، قد مهر بالطب حتى وصفه ابن أبي اصيبعه بقوله:((كان فاضلاً في صناعة الطب خبيراً بأعمالها مشهوراً بالحذق))[٤] .

وعلى الرغم من إن والده محمداً كان فقيهاً من جملة الفقهاء المتميزين في علم الحديث في اشبيله، لكنه اتجه إلى دراسة الصناعة الطبية فقد أشار القاضي صاعد الاندلسي إلى إن ((أبا مروان بن زهر رحل إلى المشرق ودخل القيروان ومصر وتطبب هناك زمناً طويلاً ثم رجع الى الاندلس واستقر في مدينة دانية))[٥] حيث اشتهر بالتقدم في صناعة الطب وذاع صيته في جميع اقطار الأندلس، وقد كسب اموالاً كثيرة بعد رحيله الى مدينة اشبيلية بسبب مزاولته مهنة الطب حتى لقب ((غني اشبيلية ومحط انظارها الرباع والضياع))[٦] .

أما زهر بن ابي مروان بن زهر ت (٤٧٠)هـ، فقد برز بشهرته بحذق الطب والمعرفة فيه ((وله علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب واطلاعه على دقائقها))[٧]، وقد تمتع بذكاء ثاقب في مهنته حيث نجد له كثيراً من النوادر في مداراته للمرضى ومعرفته لأحوالهم وبما يحسونه من الام من غير أن يسألهم من ذلك بل بمجرد النظر اليهم والى قواريرهم ومقتنياتهم أو حينما يجس نبضهم، وكان اشتغل بصناعة الطب وهو صغير وكذلك ولج في علم الأدب، فكان فيه حسن التصنيف جيد التأليف .

وينقل ابن أبي اصيبعه، إن ابن جميع المصري في كتابه ((التصريح بالمكنون في تنقيح القانون)) إن رجلاً من التجار جلب نسخة كتاب ((القانون في الطب)) لأبن سينا، فأهداها لأبي العلاء بن زهر تقرباً إليه فلما تأمله، انتقصه، فذمه واطرحه، ولم يدخله خزانة كتبه))[٨] .

وصرح أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع في كتابه ((المغرب في محاسن اهل المغرب)) بان أبا العلاء بن زهر، كان مع صغر سنه تصرخ النجابة بذكره

وتخطب المعارف بشكره))[٩]، وقد تمثل ذلك في مطالعاته لكتب الاوائل ومصنفاتهم واتقانها وفهمها، فضلاً عن مقابلاته لفضلاء شيوخ العلماء والفضلاء حتى برز في الطب، وكان من شيوخه ((ابو العيناء المصري)) [١٠]، ومن تلاميذه عامر بن ينق الشاطبي الطبيب الشاعر)) [١١].

وذكر ابن أبي اصيبعه من تأليف ابي العلاء بن زهر، كتاب الخواص، وكتاب الأدوية المفردة وكتاب الايضاح بشواهد الافتضاح في الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن إسحاق في كتاب المدخل إلى الطب وكذلك كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس [١٢].

أما ابرز من توضحت سيرته بتأريخ الطب وشهرته فيه فهو أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان ابن زهر الأيادي المتوفي سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م الطبيب الثالث قي هذه الأسرة وقد حاز دون غيره لقب العائلة، ويمكن القول إن زعامة الطب عقدت بلواء بني زهر بفضله، وقد اختلف إلى البلاط أمراء الموحدين في المغرب والأندلس ووضع كل منهم مهارته وتجربته الطبية في خدمتهم، وانحاز إليهم، وبذلك قيد نفسه في سجل السياسة، ولكنه نأى عنها، وانصرف إلى مهنته فحاز السبق فيها، واستطاع من خلال مزاولته لمهنته ان يلفت الأنظار ويوجهها إلى ثلاثة أفرع طبية، مفصولة عن بعضها، وهي الطب الباطني والطب الجراحي والصيدلة فسبق بهذا المفهوم الطب الحديث في تأكيده على حدود هذا التخصص، فضلاً عن امتلاكه الثقة الكاملة بعمله وتجربته ودقة ملاحظته الى جانب تبسيطه الطب وتعريف الناس به، وقد ترك مجموعة من الأدوية ذكر أسماءها وتركيبها الكيماوي بعد إن وضح خصائصها[١٣] .

ولعل من بين أهم مصنفاته، كتاب ((التيسير في المداولة والتدبير)) الذي تجلت فيه شخصيته كطبيب سريري متمرس بكل وضوح، ولا غرو ان يُعّد هذا الكتاب من خير ما ألف الأطباء العرب في الطب الباطني والطب الجراحي والطب الجلدي ،فقد تحرر فيه من الآراء النظرية التي كانت تقيد غيره، وانتهج فيه نهجاً يقوم على الملاحظة المباشرة والتجربة الحثيثة (المتابعة السريرية) مفضلاً ذلك على متابعة جالينوس وغيره من الأطباء القدماء وتقليدهم ومسايرتهم[١٤].

ويجمع المؤرخون القدماء والمحدثون على إن كتاب ((التيسير في المداولة والتدبير)) هو أفضل كتبه وأشهرها، إذ لم يكد ينتهي من تأليفة حتى تناقلته أيدي النساخ والمترجمين فذاع صيته في المغرب والمشرق على السواء وأحدث أعظم الأثر في تطور الطب خلال العصور الوسطى التي كان فيها الطب الأوربي ما يزال عاجزاً عن التحليق بجناحيه، فهو لا يقل شأناً عن كتاب الرازي ((الحاوي في الطب)) وكتاب ابن سينا ((القانون في الطب))[١٥].

وينبغي التأكيد على أن ابن زهر في هذا الكتاب يمثل أوج النضوج العلمي والفكري، حيث اكتملت فيه اختباراته وتعددت مشاهداته، وحذا فيه حذو مؤرخي الموسوعات العربية والأجنبية والمعجمات الطبية التي تثبت أسماء أعلام الطب ومصطلحات التشريح والأمراض وأساليب العلاج، لذلك فهو يكرر تأكيداته، أن تعلم هذا الفن (الطب) لا يقوم على أحادية نظرية أو علمية، بل كلتيهما، مع تعميق الواقع النظري واقترانه بالسعي الحثيث في مراقبة المرضى وما يطرأ من تطورات المرض عليهم .

والجدير بالذكر إن كتاب ((التيسير في المداولة والتدبير)) إنما هو إسهام كبير لأبن زهر في توضيح الصورة التي تعكس اهتمامات الأطباء العرب والمسلمين في بلاد الأندلس، وفي موضوع الطب العربي العلمي الذي يسميه أطباء ذلك العصر ((الكناش))[١٦] فعلى الرغم من إن هذا الاتجاه في كتابة المصنفات الطبية، غير مرغوبة لدى كبار أطباء العالم الإسلامي آنذاك ، وربما تكون معيبة لهم أحياناً، ولكن كتاب التيسير، قد حظى بمباركة أعظم طبيب وفيلسوف في المغرب الإسلامي وهو ابن رشد الذي كان يثني على أبي مروان عبد الملك بن زهر ويجله ويفصح بتقدمه في علمه[١٧]، ويشير ابن أبي اصيبعه بهذا الصدد إلى إن كتاب التيسير ألفه ابن زهر للقاضي أبي الوليد محمد بن احمد بن رشد[١٨]، ولعله أهداه إليه، ليكون مكملاً لمؤلف ابن رشد ((الكليات))[١٩]، حتى إن ابن رشد قال مغالياً فيه، ((ابن زهر أعظم طبيب بعد جالينوس)) وهذا يعني إن ابن رشد فضل أبا مروان بن زهر على أطباء المشرق، حنين بن إسحاق والرازي وابن سينا وغيرهم من أعلام الطب المشرقي، كما انه اقرب الى الصواب، أن يقال أن كتاب التيسير وكتاب الكليات، صنفان يتمم احدهما الآخر، فالكليات نحافيه ابن

رشد منحى فلسفياً نظرياً في حين إن كتاب التيسير سلك فيه ابن رشد طريق الطب التجريبي[٢٠]، وفي هذا الإطار، أشار ابن رشد إلى إن هذا الكتاب أي التيسير ((سألته أنا إياه (أي ابن زهر) وانسخته، فكان ذلك سبيلاً الى خروجه، وهو كما قلنا، كتاب الأقاويل الجزئية، التي جعلت منه شديد ((المطابقة للأقاويل الكلية، إلا مزج هنالك مع العلاج، العلامات وإعطاء الأسباب على عادة أصحاب الكنانيش ولا حاجة لمن يقرأ كتابنا هذا (ويعني الكليات) إلى ذلك، بل يكفيه من ذلك مجرد العلاج فقط، وبالجملة من تحصل له ما كتبناه من الأقاويل الكلية، أمكنه أن يقف على الصواب والخطأ من مداواة أصحاب الكنانيش في تفسير العلاج والتركيب))[٢١]،أي إن ابن زهر، أورد التفصيلات الدقيقة للقوانين والنظريات العامة التي جاء بها ابن رشد في كتابه الكليات، موضحاً الأعراض وأسباب الأمراض مع العلاج الذي تقتضيه، وانه لم يحد عن هذه القوانين والنظريات في معرفة الصواب والخطأ في المداواة والعناية بالمرضى وتركيب العقاقير والأدوية والأغذية .

أما في العصر الحديث فان كتاب التيسير قد دخل جامعات أوربا وأصبح مادة للتدريس والمناظرة فيها، كما عُدَّ مؤلفه أعظم طبيب عملي، كان يزاول العلاج في المستشفيات، فترك تأثيره في الطب الأوربي وذلك بفضل ترجمتين عبريتين لا يعرف كاتباهما، وقد ترجم أحدهما إلى اللاتينية ((يعقوب العبري)) بالاشتراك مع طبيب يدعى (بارافسيوس) أو (بارافينسيوس) حوالي سنة ١٢٨١م ثم طبعت تلك الترجمة طبعات عدة مع ترجمة كتاب (الكليات) لأبن رشد، ثم طبعت في البندقية عام ١٤٩٠م كما عمل (جيوفاني جوهانس) ترجمة عبرية حديثة، لكن هذه الترجمة لم تطبع، ولم تصل إلينا طبعة النصوص العربية[٢٢] .

ويعتقد الدوميلي Aldo-Mili، إن ابن رشد كان يهدف من وراء تشجيع ابن زهر على تأليف كتابه التيسير هو تصنيف الجانب المتمم والأشد اتصالاً بالطب من كتابه (الكليات) التي تمثل بدورها اتجاهاً اقرب إلى الناحية الفلسفية[٢٣].

وعلى هذا الأساس يمكن أن نبيح لأنفسنا القول، إن أبا مروان عبد الملك بن زهر، قدم إسهاما كبيراً في تقدم الحركة العلمية والطبية في الأندلس أن لم يكن على الإطلاق إن ينحصر مداها في هذا البلد وإنما تعداها إلى جميع بلدان العالم الإسلامي .

وهكذا ملأ بنو زهر آفاق عصرهم بإنتاجهم العلمي في مجال الطب والعلاج والأدوية علماً وامتهاناً، نظرياً وعملياً .

وكان أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد المعروف بالحفيد ، المتوفي سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م هو الآخر قد اخذ صناعة الطب عن أبيه وباشر أعمالها ففاق أهل زمانه وخدم دولة المرابطين في آخر عهدهم ثم انضم إلى دولة الموحدين[٢٤]، وكان حسن المعالجة جيد التدبير لا يماثله احد في ذلك[٢٥]، مع الأشراف على جميع أقوال أهل الطب[٢٦].

ويؤكد ابن الآبار انفراده بالإمامة في علم الطب، ويكرر ابن أبي اصيبعه انه باشر أعماله في الطب بعد أن أخذه عن أبيه وجده[٢٧]، كما وصفه ابن دحية بأنه ((مورد من الطب معين))[٢٨]، في حين منحه الذهبي لقب ((شيخ الطب وجالينوس العصر))[٢٩].

ولم تتحدد إسهامات بني زهر في الصناعة الطبية، فقد أنعشوا الحركة الأدبية اللغوية والشعرية، وتركوا بصماتهم الواضحة في الفترات التي عاشوا فيها، فيذكر ابن بشكوال إن أبا بكر محمد بن مروان ابن زهر المتوفي ٤٢٢هـ/١٠٣٠م، كان حافظاً لأشعار العرب وأدبهم[٣٠] .

كما كان مهتماً بجمع الرواية والدراية فيه[٣١]، كما عرف عن أبي العلاء زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر، انه كان مقدماً بالأدب معروفاً بذلك[٣٢]، ويروي ابن الابار ما يدل على شاعرية أبي العلاء زهر بن عبد الملك[٣٣]، وأكد الصيرفي على علو منزلة أبي العلاء ومكانته الأدبية والاجتماعية[٣٤]، ويؤكد ابن أبي اصيبعه، إن أبا العلاء زهر ابن عبد الملك لم ينبغ في الطب، فحسّب بل اشتغل أيضاً بالأدب، وكان فيه على حد قوله: ((حسن التصنيف، جيد التأليف، كما طرق الشعر فكان فيه المبرز)) وأورد بهذا الخصوص من شعره في الغزل ما يؤكد ذلك[٣٥].

وجاء عن الذهبي، إن لأبي العلاء شعراً رائقاً[٣٦]، كما يفيدنا المقري في توضيح الصورة عن مكانته الأدبية والشعرية إذ ينقل لنا روايات مهمة بهذا الصدد ومن قصيدة لعمر بن مذجح في أبي العلاء قوله [٣٧]

قدمت علينا والزمان جديد وما زلت تبدي في الندى وتعيد

وحق العلا لولا مراتبك العلا لما اخضر في أفق الكلام عود

فأرجو بني زهر فأن وجوهكم نجوم بأفلاك العلا وصعود

وأضاف المقري بأنه رد عليه بقصيدة تدل على شاعرية فذّة [٣٨]، وهكذا نقرأ عند المقري استرسالاً في ذكر المطارحات الشعرية التي تمت بينهما[٣٩] .

وكانت جهود الحفيد أبي بكر بن محمد بن عبد الملك بن زهر جعلت أسرة بني زهر تبلغ القمة في الأدب والشعر واللغة، حيث اقبل على الأدب واللغة، فبرع بذلك كله وعانى الشعر وبلغ الإجادة فيه، ويؤكد ذلك ابن الابار بأن حظه كان وافراً من الأدب واللغة وحفظ الأشعار ما قبل الإسلام وأشعار المولدين والمشاركة في المطارحات الشعرية والأدبية كما أجيز بالتحدث بالمقامات من أبيه أبي مروان بن زهر وعن الحريري صاحب المقامات نفسه بأجازة كتبها إليه [٤٠].

كما برع الحفيد بالموشحات وانفرد فيها، وقد جاء ذلك على لسان ابن دحية ورده المؤرخون الذين اخذوا عنه هذا الفن الأدبي الرفيع الذي يصفه بأنه زبدة الشعر وخلاصة جوهره وصفوته، وهو فن اغرب فيه أهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيه كالشمس الطالعة[٤١].

ونقرأ عن إسهامات المرأة في أسرة بني زهر، في مجالات الطب والمداواة فقد برزت أخت الحفيد أبي بكر محمد بن عبد الله بن زهر وابنتها كعالمتين في الطب والتدبير، فيذكر ابن أبي اصيبعه إن أخت الحفيد وابنتها عالمتان بصناعة الطب والمداواة، ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء وكانتا تدخلان على نساء الأمير المنصور بالله الموحدي وتتولى قبالة نساء أهله(أي توليدهن) فكان لا يقبل مولداً إلا أخت الحفيد وابنتها))[٤٢] .

وهكذا يمكن القول في نهاية المطاف، انه لم يكن للأندلس أن تبلغ في حضارتها التي تحمل أسس الأصالة والمتانة، ما لم يكن يتوفر لها من الدوافع المهيأة لهذا التبوء ولعل في مقدمتها ظهور حشد من العلماء والمفكرين ورواد المعرفة، كان بنو زهر أهم هذه الروافد الجزيلة في التأريخ الأندلسي، حيث اتضحت تأثيراتهم في الحياة الثقافية والعلمية والاجتماعية .

الهوامـــــــش

١- وهي دويلات المدن الذي انقسمت إليها الأندلس بعد سقوط الدولة الأموية في الأندلس، وقد شهد هذا العصر زهاء ما يقارب السبعين عالماً أو أكثر على اثر انهيار الدولة العامرية سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٩م) .

٢- وقد سموا بالمرابطين، لملازمتهم الثغور الإسلامية وقيل سموا بذلك لملازمتهم رباط الفقيه عبد الله ياسين الجزولي، وقد ظهرت حركتهم بصورة منظمة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وتزعمها هذا الفقيه المتوفي سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) بمساعدة قبائل صنهاجة اللثام (انظر : ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس (الرباط / ١٩٧٩م) ص٧٦، الحلل الموشيه لمؤلف مجهول، ص١٧. كما سموا بالملثمين لاتخاذهم لثاماً في أعلى وجوههم .

٣- وظهرت حركتهم بعد زوال المرابطين، وقد سموا بالموحدين لأنهم أول من تحدث في التوحيد وعلوم الاعتقاد في المغرب (عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (القاهرة / ١٩٦٣م) ص٢٦٩ .

٤- عيون الأنباء في طبقات الأطباء (دار مكتبة الحياة، بيروت ، تحقيق نزار رضا) ص٥١٧.

٥- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم (مطبعة السعادة ، القاهرة) ص١٠٤ .

٦- ابن أبي اصيبعه، المصدر السابق ، ص٥١٧.

٧- ابن أبي اصيبعه، المصدر السابق ، ص٥١٧ .

٨- م.ن. ص٥١٨ ((ويبدو إن تصرفه هذا إنما هو ظاهرة من ظواهر المساجلات والمطارحات التي وصلت إلى حد الصراع الفكري المحتدم بين المشارقة وأهل المغرب والأندلس، فيمن هو الأفضل في العلم والفكر .

٩- م.ن . ص٥١٨ .

١٠- م.ن . ص٥١٨ .

١١- م.ن . ص٥١٨ .

١٢- عيون الانباء ، ص٥١٩ .

١٣- خليل هاشم عباس، بنو زهر في الأندلس، دورهم العلمي والأدبي ومكانتهم الاجتماعية (رسالة ماجستير في التأريخ الإسلامي ، غير منشورة) ص ص ١٢١-١٢٢ .

١٤- انظر عن بني زهر، آنخل جنثالث بالنثيا، تأريخ الفكر الاندلسي (ترجمة د.حسين مؤنس عن الأسبانية – بور سعيد مصر – بدون تأريخ) ص٤٧١ .

١٥- يمكن الإحالة على كتاب ((التيسير في المداواة والتدبير)) (نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، ط١، دمشق – ١٩٨٣) ص ك .

١٦- وهي مجموعة مذكرات وفوائد طبية، مفصلة لم يتناولها المؤلف بالتهذيب والتنقيح، والكناش تعريف للكلمة السريانية ((كناشا)) وتعني مجموعة أشياء مكتوبة .

١٧- ابن الابار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي الاندلسي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) التكملة لكتاب الصلة (نشر فرانسيسكو كوديرا وريدان – طبعة روخين ، مجريط – ١٨٨٦م) ص٦١٦.

١٨- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج٢ ، ص٦٤ –٧٥ .

١٩- أمين اسعد خير الله، الطب العربي (الطبعة الامريكانية ، بيروت – ١٩٤٦م) ص ١٥٧ –١٥٨.

20- Gabriel colin / Avnzoar / savie ete ses ocuvres (Paris) P-400 .

٢١- الكليات في الطب (تحرير الفريدو بستاني)، العرائش ، (المغرب – ١٩٣٩م) .

٢٢- يوضح الدومييلي إن يعقوب العبري، نقل الترجمة العبرية إلى اللاتينية العامية وربما إلى اللهجة البندقية، وحول بارافنيسيوس هذه الترجمة إلى اللاتينية سنة ١٢٨٠-١٢٨١م غير إن ترجمة أخرى سنة ١٤٩٠و١٤٩٧ وسنة ١٥١٤و١٥٣٠ كانت في البندقية وطبعت هناك وأعيد طبعها في ليون سنة ١٥٣١م كما طبعت طبعة أخرى في البندقية سنة ١٥٥٤م وهي تحتوي على كتاب الكليات لأبن رشد . (العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي (طبعة دار العلم القاهرة – ١٩٦٢م) –ص٣٩٧ .

٢٣- م.ن.ص٣٧٩–٤٠٠ .

٢٤- ياقوت، معجم الأدباء، ج.١، ص ٩٧ .

٢٥- م.ن . ص١١٨ .

٢٦- ابن دحية، المغرب من أشعار أهل المغرب، ص٢٠٦ .

٢٧- عيون الأنباء في طبقات الأدباء، ص٥٢١ .

٢٨- المغرب من إشعار أهل المغرب، ص٢٠٣ .

٢٩- العبر في خبر من غير ، ج٤ ، ص٢٢٨ ، وينقل العبارة نفسها اليافعي، مرآة الجنان : ج٣ ، ص٤٧٩، وابن قاضي شهبه، طبقات النحاة اللغويين.

٣٠- الصلة في تأريخ أئمة الأندلس وعلمائهم وأدبائهم، ج٢، ص٤٨٨ .

٣١- ابن دحية، المصدر السابق، ص٢٠٣ .

٣٢- ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٧٧ .

٣٣- قال في الأندلس لنفسه :

ياراشقي بسهام مالها غرض — الا الفؤاد ومالها منه عوض

وممرضي بجنون كلها غنج — صحت ومن طبعها المرض

آمل ولو بخيال منك يطرقني فقد يسد سد الجوهر العرض

(م.ن.ص٧٧)

٣٤- قال فيه :

غدت منك أفواه الغيوم الدوافق تفيض بما تورى زياد البوارق

أنارت جهات الشرق لما احتللت به فكاد الدجى يحلو لنا وجه شارق

تقلد فيك الدهر عقداً وصارما بهاء المجد وسناء لعالق

المقتضب من كتاب تحفة القادم (تحقيق إبراهيم الابياري ، القاهرة -١٩٥٧م) ص٩ .

٣٥- قال :

ما الجاه إلا جاه من ملك القوى وإطاعة قلب عزيز قادر

(عيون الأنباء – ص٥١٨)

٣٦- العبر في خبر من غير، ج٤، ص٦٤ .

٣٧- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٥، ص٢١ .

٣٨- م.ن.ج٧، ص٤٥ .

٣٩- م. ن . ج٣، ص ٤٢٧ – ٤٣٢ ، ٤٣٤ .

٤٠- التكملة لكتاب الصلة، ج١ ، ص ٢٧٠- ٢٧١ .

٤١- المطرب من أشعار أهل المغرب، ص٢٠٤ .

٤٢-عيون الإنباء، ص٥٢٤ .

شعر اسعد بن مماتي الوزير الأيوبي (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ)

م. م . رياض عبد الحسين راضي
جامعة واسط / كلية التربية

المقدمة

يعد اسعد[1] بن مماتي علما من أعلام مصر إبان الحكم الأيوبي وله أثره في تاريخ أسرة بني أيوب بإسهاماته الإدارية فقد شغل رئاسة ديوان الجيش خلال حكم مؤسس الدولة السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٩هـ/١١٧٤-١١٩٣م) ولكفاءته الإدارية العالية قام السلطان بإسناد رئاسة ديوان المال اليه والذي يعد من أجّل الدواوين وبذلك أصبح بعهدة ابن مماتي ديوانان في آن واحد كما شغل ابن مماتي رئاسة ديوان المال طوال حكم العزيز (٥٨٩-٥٩٥هـ/١١٩٣-١١٩٨م) وخدم في هذا الديوان عاما في ظل حكم السلطان العادل سيف الدين (٥٩٦-٦١٥هـ/١١٩٦-١٢١٨م)، كما تأتي أهمية ابن مماتي ليس من كونه وزيرا فحسب بل لكونه علما من أعلام عصره في الأدب وبشهادة كبار رجال الأدب آنذاك من أمثال القاضي الفاضل والعماد الاصبهاني وابن سناء الملك وغيرهم، وعرف ابن مماتي أيضا بنتاجه العلمي الكبير إذ تعددت مؤلفاته الثلاثين مؤلفا توزعت بين الأدب والدين والإدارة والتربية والتاريخ فضلا عن كونه شاعرا معروفا وقد ذكرت المصادر له ديواناً شعرياً إلا انه لم يصل إلينا كما انه نظم كتاب كليلة ودمنة شعرا إلا انه ضاع فيما ضاع من كتب فضلا عن انه قال الشعر في مناسبات عدة لكن على الرغم من فقدان ديوانه ظلت بقايا شعره على السنة الرواة والأصدقاء وقد حفظت البعض منه كتب التاريخ والأدب.